موقف السوفييت من فلسطين

-عام 81 جاء أكاديمي سوفياتي الى المركز الفلسطيني في دمشق والتقيته في مكتب البحوث الفلسطينية عند أبي مروان.. بدأ الأكاديمي بقوله "أنتم تبالغون في قضاياكم، ان قضية فلسطين هي قضية صغيرة بالنسبة للسلام العالمي الذي يمس الانسانية جمعاء فيما لو قامت حرب نووية لا تبقي ولا تذر". قلت له "ان قضية فلسطين ليست قضية صغيرة حتى بالنسبة لسلام الاتحاد السوفياتي. أميركا بنت في سيناء ثلاثة مطارات. ثم لما انسحبت اسرائيل منها أعطتها ثلاثة مليارات دولار فبنت مطارين آخرين في النقب، أي أن هناك خمسة مطارات في النقب وسيناء بالاضافة الى مطار ايلات.. وهناك ميناءان هما ميناء ايلات وميناء العقبة، وفي العقبة مغائر صخرية طبيعية هي أفضل بكثير من أية منشآت أخرى للدفاعات النووية. ولن تجد في العالم قواعد أميركية تماثل ما في اسرائيل وسيناء من مطارات متقاربة، هذا عدا قواعدها في السعودية واسبانيا وايطاليا وغيرها المحيطة بالمنطقة. وأميركا لم تنسحب من سيناء بل أعطت مصر فقط حق الاشراف الأمني. وهذه القاعدة في اسرائيل وسيناء لا تثير احتجاج أحد لخلو المنطقة من السكان كما تثير القواعد الأخرى في أوروبا احتجاج شعوبها وهي أقرب القواعد الأميركية الى الأورال، المنطقة الصناعية الكبرى في الاتحاد السوفياتي التي تمتد من منطقة النفط السيبيري شمالا الى مناطق النفط في الجمهوريات الأسيوية.

أسرع الفلسطينيون في المكتب لاحضار الخرائط والمساطر. وأخذت أقيس الأبعاد وأبرهن على كلامي بما لا يقبل الشك، والكل في عجب ودهشة، وأضفت "والى هذا فالاطلاق من الجنوب الى الشمال ثابت الهدف بينما من الغرب الى الشرق ليس كذلك بسبب دوران الأرض. ان الفلسطينيين حين يدافعون عن أرضهم التي اغتصبها الصهاينة، يدافعون أيضا عنكم لأن الهدف من إقامة اسرائيل بالنسبة للاستراتيجية الأميركية هو اقامة قاعدة عسكرية قوية تهدد الاتحاد السوفياتي بتدمير صناعته التي هي على مرمى صواريخها المتوسطة، وبالتالي بتدمير نظامه كي تنفرد بنهب العالم الثالث وتستحوذ كليا على نفط المنطقة، عصب الحضارة الحديثة.

اسرائيل بالنسبة للوطن العربي تجسد الهجمة العدوانية الامبريالية الأميركية على الأمة العربية لحرمانها من قوتها ووحدتها وثرواتها وتقدمها. وقضية فلسطين ليست قضية صغيرة أو قليلة الأهمية بالنسبة للسلام وحرية الشعوب والتقدم.

أخذ الأكاديمي السوفياتي بالاعتذار قائلا "أرجوك أعذرني، ان مجالي هو العلوم الانسانية، وكنت أنظر للأمر من وجهة نظر انسانية وليس من وجهة نظر عسكرية.

قلت له:

-أتحسب أننا نحن أيضا لا نتمنى السلام؟ من يشتهي الحرب والدمار الا أن تكون في عقله لوثة؟ نحن أيضا نحترم حياة الانسان، ولكننا الجهة التي تقهر وتشرد وتسيل دماء بنيها هدرا بمئات الألوف. ان السلام الذي نوعد به هو سلام أميركي يفرض عسكريته وقواعده وأحلافه وعملاءه ومخابراته ونظامه الاقتصادي القائم على النهب والربا والجريمة لاستعباد أمتنا، لا السلام الذي يحمل الازدهار والتقدم والتعاون بين الشعوب. نحن لسنا دعاة حرب ولا نشن حروبا على الغير وانما ندافع عن ذاتنا وحقنا في الحياة الحرة وفي سبيل الخلاص من قهر المستعمرين دعاة الحرب العدوانيين الظالمين.

* * *